على الناصر صاحب حلب فانشد قصيدة اولها جد لي بما القى الخبال من الكرى
لابد للضيف الملم من القرى فقال كمال الدين هذا رجل عارف وروى بمقصوده
من اول كلمة وهي قصيدة طويلة فاستجلسه السلطان وساله عن بلاده و
مقصده بالرحلة فاخبره انه جمع كتابا في الحلى البلادية والحلى العبادية
المختصة بالمشرق واخبره انه سماه المشرق في حلى المشرق وجمع مثله وسماه
المغرب في حلى المغرب فقال نغنيك بما عندنا من الخزاين ونوصلك الى ما ليس
عندنا كخزاين الموصل وبغداد وتصنف لنا فخدم على عادتهم وقال امر مولاي بذلك
انعام وتانيس ثم قال له السلطان مداعبا ان شعراءنا ملقبون باسماء الطيور وقد
اخترت لك لقبا يليق بحسن صوتك وايرادك للشعر فان كنت ترضى به والا لم نعلمه
غيرنا وهو البلبل فقال قد رضي المملوك يا خوند فتبسم السلطان وقال له ايضا
بدلعبه اختر واحدة من ثلاث اما الضيافة التي ذكرتها اول شعرك واما جائزة
القصيدة واما حق الاسم فقال يا خوند المملوك ممن لا يختنق بعشر لقم لا نه
مغربي اكول فكيف بثلاث فطرب السلطان وقال هذا مغربي ظريف ثم تبعه
من الدنانير والخلع الملوكية والتواقيع بالارزاق ما لا يوصف ولقي بحضرته
عون الدين العجمي وهو بحر لا تنزفه الدلاء والشهاب التلعفري والتاج ابن شقير
وابن نجيم الموصلي والشرف بن سليمان الاربلي وطايفة من بني الصاحب
ثم تحول الى دمشق ودخل الموصل وبغداد ودخل مجلس السلطان المعظم
بدمشق وحضر مجلس خلوته وكان ارتحاله الى بغداد في عقب سنة ثمانية
واربعين وستماية في رحلته الاولى اليها ثم رحل الى البصرة ودخل ارجان
ثم عاد الى المغرب وقد صنف في رحلته مجموعا سماه بالنفحة المسكية في الرحلة
المكية وكان نزوله بساحل مدينة اقليبية من افريقية من خطوته حدثني شيخنا
الوزير ابو بكر بن الحكيم ان المستنصر جفاه في اخر عمره وقد اسن بجراحة ما ليه
اسندها اليه وقد كان بلا منه بلا جفوة اعقبها انتقال وعناية فكتب اليه
بنظم من جملة لا تزعني بالجفا ثانية فرق له وعاد الى حسن النظر فيه الى ان توفي
تحت برّ وعناية مولاه بغرناطة ليلة الفطر سنة عشر وستماية ووفاته
بتونس في حدود خمسة وثمانين وستماية انتهى باختصار وذكرت حكاية اجازته
بيته في النرجس وان نقلتها لاتصال الكلام قلت فكنت وقفت على بعض ديوان شعره المنفرد
الاسفار ونقلت عنه قوله من قصيدة يهني ابن عمه الرايس ابا عبد الله بن الحسين بقدومه
من حركة هوارة اما والجبال لا يحول وجيب وقد بعدت دار وخان حبيب وليس الى غير ذكر وحسرة
ودمع على من لا يرق صبيب وخفق فواد ان هفا البرق خافقا وشوق كما شاء الهوى وتحيب
ويعذلني من ليس يعرف ما الهوى وعذل مشوق في البكا عجيب الا انفس اللوام في الحب قد عموا وصموا واي الناس منه طبيب
يلومون اني في الغرام صبابتي وليس لداعي الملام اجيب وفاي اذا ما غبت عنكم مجدد وغيري وعد ادوان يغيب
ولوم عن منى الوفا لسجيته لكنت لغير ابن الحسين انيب سمي الهدى العم حاتم جوده مهلبه زمار شده حرب
فتى سير الامداح شرقا ومغربا ابو دلف مزد ونزو حبيب اذا قرح القرطاس فلت ابن مقلة واذ دفق الاشعار قلت حبيب
وان نثر الاسجاع قلت سميه واذ سرد التاريخ قلت غريب وما الجراز الصوت ادا به التي اذا ما تلاها ابن الحرادب
وما اذا ما الحرب احمد نارها ففيه تلظى مارج ولهيب فكم قارع الابطال في كل وجهه تحاها وكم لفت عليه حروب
وكاين له بالعرب من موقف له حديث اذا ابلى تطير قلوب برى كبش سرعند بعلم غناوه وقد ساهم يوم هناك عصيب
اذا ما تنى ارمح الطويل كانه مدير لغصن الخيزران لعوب وان جره ابصرت نجما مجردا ذوابته منه الكماة تذوب
بهم برما ان زال يبعاقا له وكعات ما تحوز كعوب محمد لا انسا الذي انت قادر عليه وحيف عنا علاك نصيب
نقود سهام العين اودى بمصعب وطاح به لون شبوب تشبب الا انه نبا ان رجعت اتوتني فاطلعت شمسا والشفاء قريب
كواكبها تبدو واذا ما تركتها وقد حلت مهما خطرت نجيب اذا اسكت في ارض فغيرك تابع علاك ومهما سار فهو مريب
كانا في استطل بظلكم ومن بهاك المجد فهو مهيب فاسلك لجيا والفروع تباينت بعيد على راهد وقريب
وحسب فخر اذ اقول محمد نسيبا على حل منه نصيب تركت جميع الاقربين لقصده على حين حانت فتنة وخطوب
رانب به جنا دعند فم ابك اذا اوسلتنا للخلود شعوب نفلكيفني لا اعاتب بلتمها وايدي الايادي انها الانهيا
ولو كان قد دمثل قلب لعلي لخوبان يعلو الثنا منجيب وكيف تعيش الكرام الرجال فرقت شتات الهوى بيننا وضروب
ولولا الذي سمعت من مكر حاسد الا لك يقول الهوى وفيه كذوب لما كنت محتاجا لقولي انفا تخلصته من ذنب حيث انوب
ذلك ذريع ذكر وعطر فما ابن لي بابن الكرام ذنوب لقد كنت ع غنا دابغتهما الذي نقلته عني الى فلوب
ابن ربع السلطان سعيي بعدكم اخلاء عن ودكم والحبيب فاحسب ذنبي ذنب سخط ارادها الى البرعند الحابرين معيب
وحاشاك من جبر الجحود فانما اخاطب من اصول فيه مشوب صحابهم الداء الدفين فليتني ولم ادن منهم للنياب صعوب
كلامهم شهد ولكن فعلهم كسم له بين الضلوع دبيب سالو عنهم التجارب ثم تدع بقلبي لهم شيا عليه انيب
اذا اغترب الانسان عمن يسوه فما هو في الابعاد عنه غريب

فذكر



تدارك برايٍ منك ما قد خرقته • ليحسن مني مشهد ومغيب • ولا تستمع قول الوشاة فانما
عدوهم بين الانام نجيب • فيا ليت اني لم اكن متاد با • ولم يك لي اصل هناك رسوب
وكنت كبعض الجاهلين مجنبا • فما انا للهم الملم خبيب • وما ان ضربت الدهر زيدا بعمره
ولم يك لي بين الكرام مريب • الشكوك ام اشكو اليك فاعدت • عداني حتى كان منك وثوب
ساشكر ما اولي واصبر للذي • توالى علي ان العزاء سليب • فدم في سرور ما بقيت فانني
قلت وكان سبب التغيير بيني وبين ابن عمي الرايس المذكور ان ملك افريقية استوزر لاشتغال الموحدين
ابا العلي ادريس بن علي بن ابي العلي بن جامع فاشتمل علي واولاني من البر ما قيدني واما لقلبي البدم تاكيد
ما بينه وبين ابن عمي من الصحبة فلم يزل ينهض بي ويرفع امداحي للملك ويوصل اليه رسايلي منبها على ذلك مرتجا
الى ان قبض الملك على كاتب عسكره وكان يقرا بين يديه كتب المظالم فاحتيج الى من يخلفه في ذلك فنبه الوزير علي
وارتهن في مع اني كنت من كتاب الملك فقلدني قراءة المظالم المذكور وسرني الوزير عنده في دار الكتابة المخر
فانهم بها فوجد الوشاة مكانا متسعا للقول فقالوا وزودوا ومنوا لا قاويل المختلفة ما مال بها حيث مالوا وظهر
منه تخايل التغيير فجعلت اداريه واستعطفه فلم ينفع فيه قليل ولا كثير الى ان سعى في تاخيري والدي عن الكتب للامير
الاسعد ابي يحيى بن ملك افريقية ثم سعى في تاخيري فاخرت عن الكتابة وعن كتابة المظالم فانفردت بالكتابة
للوزير المذكور وفوض الي جميع اموره واولاني من التانيس ما انساني تلك الوحشة ومن العز ما انقذني
من تلك الذلة شعر • فرد علي العيش بعد ذهابه • وآنسني بعد انفرادي من الاهل
وقال اذا ما الويل فاتك فاقتنع • بما قد تنشي عندي الآن من طل • وواصلني نعماه طل وانما
تادبر غيث يجود على المحل • راني اظما في الهجيرة صاحيا • فرقق واواني الى الماء والظل
ولم ازل عنده في اسر حال ما لها تكدير الى ما يبلغني من ان ابن عمي لا يزال يسعى في حقي بما اخشى مغبته
وخفت ان يطول ذلك فيسمع منه ولا ينفع دفاع الوزير المذكور عني فرغبت له في ان يرفع للملك اني
راغب في السراح الى المشرق برسم الحج • ومن بله الغيث في بطن واد • وبات فلا يامن السيولا
فلم يسعفني في ذلك ولا منح لي حظي في وقلة نفقتي بحمايته فرفعت له هذه القصيدة
هل الهجر الا ان يطول التجنب • ويبعد من قد كان منه التقرب • وتقطع رسل بيننا ورسايل
ويمنع لقيا ما نوى وتجنب • ولو انفرادي لنفسي زلة • جعلت لكم عذرا ولم ال اعتب
ولكنكم لما مللتم هجرتم • وذنبتم في الحب من ليس يذنب • الى الله اشكو غدركم وملالكم
وقلبا له ذاك التقرب يعذب • فلو ان بحرا بكم بعض ما بكم • لكان له عنكم مراد ومذهب
ولكن ابي ان لا يحن لغيركم • وان لا يرى عنكم مدا الدهر منهب • فهلا رعيتم انه في ذراكم
غريب وليس الموت الا التغرب • لزمتك لما ان رايتك كاملا • جمالا واجمالا وذاك يحبب
واني لاخشى ان يطول اشتكاوه • لمن اني سكرا فليس يثرب • ولم اسع الا لارتياح وراحة
وغيري وقد اواه غيرك يتعب • فانت الذي اوليتني ورحمتني • وذو الرحم الدنيا لنادي يخطب
فام بوم لا يدبر مصيب • عليك وبالتدبير منك تحبب • وهبه نبوتا لا يجمل امارتي
بحر الحبال في الحجارة يرسب • وهبه له سدا فكم انت حاضر • احاذر خرقا منه ان يتشعبا
وما ان ارى الا الفرار مخلصا • وما راغب في الضيم من عنه يرغب • فانه الى الامر العلي شكيتي
ولن خطوب الدهر نحوي تخطب • ولا تظلموني في الذي لست نايلا • فلا انا عرقوب ولا انا اشعب
الا فليمنوا بالسراح فانه • لراحة من تشقى اليكم وتنصب • سلوا الكاس عني اذ تدار فانني
لا اتركها ودمعي اشرب • ولا اسمع الالحان حين تطربني • ولو كان نوحا كنت اصغي واطرب
فديتكم كم لي اهون بارضكم • اهذا جزاء للذي يتغرب • اتجعل علي ما سواك يسيغ لي
فهل لي مما كدر العيش مهرب • تقلص عني كل ظل ولم اجد • كما كنت القى من اود واصحب
اذا وطمع في العيش يبقى وحوله • مدا الدهر افق لا تزال وعقرب • اجرني اجر بالفرار فانه
وحمك من نعماك عندي يحسب • فلا زلت يا خير الكرام مهنيا • فعيشي منه الموت واشهى واطيب
وصانك من قد صنت في حفظ دمي • وغيرك من ثوب المروة يسلب • شعر ولم يزل الوزير لا ازال الله عنه
رضاه يحمي جانبي الى ان اصابتني فيه العين فاصابه الحين شعر • وطيب نفسي انه مات عندما
تناهي ولم يشمت به كل حاسد • ويحكم عليه كل من كان حاكما • عليه ويعطي الثار كل معاند
وقلت ارثيه • بكت لك حتى الهاطلات السواكب • وشقت جيوبا فيك حتى السحاب
فكيف بمن دافعت عنه ومن به • احاطت وقد بوعدت عنه المصايب • الا فانظر وادمعي فانكره دعا
ولا تذهبوا مني فاني ذاهب • وقولوا لمن قد ظل يندب بعده • وفاؤك لو قامت عليك النوادب
لعمرك ما في الارض واف بذمة • ايعمت ادريس ومثلي يخاطب • دعوتك يا من لا اقوم بشكره
فهل انت لي بعد الدعاء مجاوب • ايا سيدا قد حال بيني وبينه • تراب حوت ذكراك منه الترايب
لمن اشتكي ان جار بعدك ظالم • علي وان نابت جنابي النوايب • لمن ارتجي عند الامير لمنطق
تحف به حولي المنى والمواهب • وهي طويلة ومنها قبل الختم • وقد كنت اختار الترحل قبل ان
يصيبك سهم للمنية صايب • ولكن قضاء الله من ذا يرده • فصبرا فقد يرضى الزمان المغاضب
ومنها وهو اخرها • واني لادري ان في الصبر راحة • اذا لم تكن فيه على متالب

Copyright King Saud University